

المحاضرة السادسة عشر / المرحلة الثانية

التورية - الإيهام - التخيير:

هي لغة مصدر وري الخبر إذا ستره وأظهر غيره، واصطلاحاً أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد، ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد، ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد، وهو ليس بمراد، ومن ثم سميت إيهاماً، كقول لصاح الصفدي:

وصاحب لما أتاه الغنى ... تاه ونفس المرء طمأحه

وقيل هل أبصرت منه يدا ... تشكرها قلت ولا راحه

فلراحة معنيان: قريب، وهو الكف، وهو المتبادر بقريظة ذكر اليد، وبعيد مراد وهو ضد التعب. ونحوه قول الآخر:

أيها المعرض عنا ... حسبك الله تعالى

وقول البخارزي صاحب دمية القصر:

يا خالق حملت الورى ... لما طغى الماء على جاريه

وعبدك الآن طفى ماؤه ... في الصلب فاحمله على جاريه

وهي ثلاثة أضرب:

١- مجردة، وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب، نحو قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ، للاستواء معنيان: أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود؛ لأن الحق تعالى منزه عن ذلك، والثاني: الاستيلاء والملك، وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقرب المذكور. وقول أبي بكر، وقد سئل عن النبي عليه السلام حين الهجرة، فقيل له: من هذا؟ فقال: "هاد يهديني"، أراد أبو بكر: هادياً يهديني إلى الإسلام، لكنه وري عنه بهادي الطريق، وهو الدليل في السفر.

٢- مرشحة، وهي التي يذكر فيها لازم المورى به، وهو المعنى القريب، وهي قسمان:

أ- قسم يذكر فيه الترشيح قبلها كقوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا} بأيد، فاليد هنا القدرة، وهي المعنى البعيد، وقد قرنت بالبناء الذي يناسب المعنى القريب، وهو الجارحة، ونحو قوله:

حملناهم طرا على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فالمعنى القريب للدهم الخيول السود، وهو ليس بمراد، والمعنى البعيد القيود من الحديد وهو المراد، وشرح التورية بذكر حملناهم المناسب للمعنى القريب.

ب- قسم يذكر بعدها: كقوله: فالنجم يطلق على ما لا ساق له من النبات وعلى الكواكب وقد أعاد إليه الضمير الأول في فوقه بمعناه الأول، وفي تحته بمعناه الثاني. ونحوه قول البحري:

فسقى الغضا وساكنيه وإن همو ... شبوه بين جوانح وقلوب

فقد أراد بضمير الغضا في قوله: وساكنيه المكان، وفي قوله: شبوه، أي: أوقدوه الشجر.

اللف والنشر: هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين، اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال. فالمفصل قسمان:

١- إما مرتب، كقوله تعالى: ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله، فقد جمع بين الليل والنهار بواو العطف، ثم أضيف إلى كل ما يليق به، فأضيف السكون إلى الليل؛ لأن فيه النوم والراحة، وابتغاء الرزق إلى النهار لما فيه من الكد والعمل.

قول ابن حيوس:

فهل المدام ولونها ومذاقها ... في مقتلته ووجنتيه وربقه

٢- وإما بعكس ترتيب اللقب، كقول ابن حيوس أيضا:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال لحظا وقدا وردفا

فالحظ للغزال والقذ للغصن والرذف للحقف وهو الرمل المتراكم.

والمجمل، كقوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}. فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل اللف، ثم أضيف ما لكل إليه بعد، إذ

التقدير وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا.

ونحوه قوله عليه السلام: "فإن المرء بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه، ويوم قد بقي لا يدري لعله لا يصل إليه".

الجمع: هو أن يجمع بين شيئين مختلفين، أو أكثر، في حكم واحد، كقوله تعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}.

وقول أبي العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

وقول ابن الرومي:

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

التفريق: هو أن يعتمد المتكلم إلى نوعين مندرجين تحت جنس واحد فيوقع بينهما تباينا في المدح أو الذم أو غيرهما كقول الطواط في المدح:

ما نوال الغمام وقت ربيع ... كنوال الأمير يوم سقاء

فنوال الأمير بدرة عين ... ونوال الغمام قطرة ماء

وقول صفي الدين الحلي:

فجود كفيه لم تقلع سحائبه

التقسيم: هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين، وبقيد التعيين يخرج اللف فإنه لا تعيين فيه، بل الأمر موكول إلى السامع، وذلك كقوله تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ، وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}.

وقول أبي تمام:

فما إلا الوحي أو حد مرهف ... تميل ظباه أذعي كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل ٢

وللتقسيم إطلاقان آخران:

١- ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حال ما يليق بها، كقول علي كرم الله وجهه:
"أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من
شئت تكن أسيره".

وقول أبي الطيب:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهمو من طول ما التثموا مرد

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا ... كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

وقوله أيضا:

بدت قمرا ومالت خوط بان ... وفاحت عنبرا ورننت غزالا

٢- استيفاء أقسام الشيء كقوله عليه السلام: "\$هل لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت
فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت".

وقول أبي تمام:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا ... شرا أذاعوا، وإن لم يعلموا كذبوا

وقول نصيب:

فقال فريق القوم لا وفريقهم ... نعم وفريق وايمن الله ما ندري